مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣١/٢٠١٠ هـ.ق، العدد ١٧ (٣) ٢٩-٤٤

دراسة حول قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام

حسن سرباز[١]

تاريخ الوصول: ١٤٢٩/١١/٢٥ تاريخ القبول: ١٤٠/٩/٢٣

تهدف هذه المقالة إلى بيان العلاقة الوطيدة بين الدين والأدب وموقف الإسلام من الأدب من خلال دراسة الآيات القرآنية، والمواقف النبوية المؤيدة، و الموجّهة، والرافضة للشعر والشعراء، كما تهدف إلى بيان قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام ودراسة آراء النقاد القدماء والمحدثين في هذا المجال.

ووصلت الدراسة إلى أن الإسلام لم يحارب الشعر لنفسه ولم يحارب الشعراء لأنهم قالوا الشعر، وإنما حارب المنهج الذي سار عليه بعض الشعراء.

ولا يوجد فيما روي عن النقاد القدماء ما يدلّ على فصل الدين عن الأدب ووجود التنافر بينهما، بل كل ما يفهم من كلامهم هو أن انحراف الشاعر الخلقي والديني لاينفي عنه صفة الشاعرية كما أن الالتزام الديني لايزيد من شاعريته.

الكلمات الرئيسية: الإسلام، الأدب، الشعر في صدر الإسلام.

١. الأستاذ المساعد بجامعة كردستان baboleh2000@yahoo.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

١- المقدمة

العلاقة بين الدين والفن والأدب علاقة عريقة وقديمة، وذلك لأن الدين أمر فطري له صلة وثيقة بالكيان الإنساني، يجيب على تساؤلاته الكبرى في الكون، ويرسم له تصوره للوجود ويحدد له علاقاته الإنسانية، ويغذي وجدانه وفكره، ويشكل تجاربه الشعورية التي هي بمثابة اللبنة الأولى للأعمال الفنية والأدبية. والفن بما فيه الأدب أيضا له صلة تاريخية وثيقة بالإنسان منذ أن خلقه الله، وعلمه البيان، وكوّن له علاقات مع خالقه، والكون، والحياة ومع أفراد بني جنسه، فكان الفن و الأدب وسيلته المناسبة لتصوير أحاسيسه إزاء الخالق، والكون، والحياة، وإزاء المحيط الذي ولد فيه وتصوير مباهجه، ومخاوفه، والتعبير عن موقفه من هذه العلاقات بحيث«لانجد جماعات بشرية إلا وعبرت عن هذه الأحاسيس حتى ولو كان تعبيراً بسيطاً ساذجاً يناسب طفولة البشرية وحياتها الأولى في الكهوف والغيران والغابات»(عبود، ١٩٩٢: ٤٢).

وقد أكد المحققون أن الفن والأدب كان في البداية يحمل في طياته التصورات الدينية للبشر، بحيث كان الأديب هو الكاهن نفسه وكان الفنان يبدع آثاره في محاريب العبادة، وكانت الآداب اليونانية والرومانية والفارسية والمصرية والصينية والأوروبية في عصورها الوسطى تنمو وتترعرع متأثرة بالمفاهيم والتصورات الدينية.

ولاشك في أن« الباعث الديني » من أقوى البواعث في خلق التجربة الشعورية في نفس الأديب متى تهيأت الظروف المناسبة، وذلك لتأصيل العاطفة الدينية في فطرة الإنسان. وقد يكون هذا الباعث موجباً فنرى اليقين والإذعان والتسليم وقد يكون سالباً فنرى الشك والإلحاد (الجيزاوي: ٣٦-٣٧).

فعالم الدين وعالم الأدب، عالمان متجانسان، كل منهما يهدف إلى تجميل الحياة وإعطائها القيمة والهدف، وكل منهما يهدف إلى إسعاد الإنسان وجعله قيمة كبرى في هذه الحياة الدنيا، وهو يحصل على هذه القيمة حين يتجاوب مع هذين العاملين. فمن الدين يستلهم القيم وفي الأدب يجسد هذه القيم ويسير على هداها. فقيم الحق في الفكر والخير في السلوك والجمال في الإحساس والعواطف أهداف مشتركة بين الـــدين والفن والأدب (عبود، ١٩٩٢: ٤٦).

١-١- أسئلة البحث

أ-ماهو موقف الإسلام من الأدب عامة ومن الشعرخاصة؟

ب- ما مدى صحة الفكرة القائلة بركودحركة الشعر في عصرصدر الإسلام ومحاربة الإسلام لها؟

ت- ماهي الأسباب والعوامل التي حملت بعض النقاد من القدماء والمحدثين على تبنّي هذه الفكرة؟

هذه الأسئلة هي مانريد أن نجيب عليهاباختصار في هذه الدراسة. ففي البداية نشير إلى موقف الإسلام من الأدب من خلال دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ثم نتطرق إلى قضية ركود حركة الأدب وضعف الشعر في صدر الإسلام ومناقشةآراء النقاد فيها.

١-٢- الدراسات السابقة و أهمية البحث

موضوع موقف الإسلام من الأدب و قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام ليست قضية جديدة في الأدب العربي، بل هي قضية قديمة تطرّق إليها كثير من النقاد و الأدباء من زوايا مختلفة، فكتب عنها شوقي ضيف في كتاب «العصر الإسلامي»، و سامي مكي العاني في كتابيه «دراسات في

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

الأدب الإسلامي»، و «الإسلام و الشعر»، و محمد مصطفى هدارة في كتاب «الشعر في صدر الإسلام و العصر الأموي»، و محمود حسن زيني في كتاب «دراسات في أدب الدعوة الإسلامية»، و سليمان الشطي في مقالة له تحت عنوان «الإسلام و الإبداع الشعري» و... ولكن الجديد في هذا البحث هو أنني قد قمت بدراسة و تحليل آراء النقاد القدماء والمحدثين في هذا الموضوع على ضوء دراسة الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي استند إليها هؤلاء النقاد و وصلت إلى أن ما قاله القدماء لا يدل على فصل الدين عن الشعر و وجود التنافر بينهما و كراهية النبي (ص) للشعر و الشعراءكما فهمه بعض المستشرقين و بعض نقاد العرب المحدثين، بل كل ما يدل عليه قولهم هو أن انحراف الشاعر الخلقي والديني لاينفي عنه صفة الشاعرية كما أن إيمانه و التزامه الخلقي و الديني لايزيد من شاعريته شيئاً، و أن الغرض من ليونة الشعر الإسلامي هو تخليه عن بعض ما في الشعر الجاهلي من غرابة اللفظ و وعورة الأسلوب.

٢- موقف الإسلام من الأدب

من الواضح أن الإسلام قد اعتمد في نشر دعوته وغرسها في قلوب الناس وأفئدتهم على الكلمة البليغة الطيبة المؤثّرة النافذة إلى القلوب التي وصفها القرآن بقوله « ألم ترِ كيفَ ضربَ الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أَصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء تُؤتي أُكلها كلّ حينٍ بإذنِ ربّها ويضربُ الله الأمثالَ للنَّاسِ لعلّهم يَتذكرون» (سورة ابراهيم/٢٤-٢٥).

ومن جانب آخر نرى أنّ الإسلام قد حورب في بدء دعوته بكل وسيلة، وبكل سلاح، وكان الأدب والشعر من أهم هذه الأسلحة التي استخدمت في حربه وتعويقه عن أن يصل إلى غايته، فكان لابد من أن يستخدم الإسلام نفس السلاح ليرد كيد الكائدين ويدحض مكر الماكرين (آدم بيلو، ١٩٨٥: ٢١).

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالكلمة البليغة والأدب بأنواعه. وفي هذا المجال ننظرأولاً في موقف القرآن الكريم من الشعر، ثم ندرس الأحاديث النبوية في هذا الموضوع لنرى موقف الإسلام الصحيح من الأدب عامة ومن الشعر خاصة.

٢-١- موقف القرآن الكريم من الشعر

فقد ورد في القرآن الكريم كلمة«الشاعر» أربع مرات و كل من كلمة«الشعر» و«الشعراء» مرة واحدة في الآيات التالية:

أ- «إنّه لقولُ رسولٍ كريم وما هو بقولِ شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون ولا بقولِ كاهن قليلاً ما تذكرون »(سورة الحاقة/٤٠-٤١).

ب- « بل قالوا أضغاث أحلامٍ بلِ افتراهُ بل هُو شاعرٌ فليأتنا بآيةٍ كما أرسل الأوّلون» (سورة الأنبياء/٥).

ت-«ويقولون أئنّا لتاركو آلهتنا لشاعرٍ مجنون» (سورة الصافات/٣٦).

ث-«أم يقولونَ شاعرٌ نتربّص به ريبَ المنون» (سورة الطور/٣٠).

ج- «وما علّمناهُ الشّعر وما ينبغي لَهُ إنْ هُوَ إلاّ ذكرٌ وقرآنٌ مبين»(سورة يس/٦٩).

وهذه الآيات الخمس إنما جاءت لتصوّرموقف المشركين من القرآن وتأثيره في النفوس، ولتؤكد على أن القرآن وحي من الله نزل به الروح الأمين على قلب محمد(ص) ليكون للعالمين نذيراً (مكي العاني، ١٩٧٥: ٢٥)، وليس فيها ما يمسّ فنّ

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

الشعرمن حيث هو فنّ، ولاتمثل موقفاً سلبياً للإسلام إزاء الشعر والشعراء، لأن ماجاء حكاية عن الآخرين لايمثّل موقفاً وإنما ينقل أقوال الآخرين وآراءهم، وإنّ ما جاء نافياً عن الرسول أن يكون شاعراً وعن القرآن أن يكون شعراً لايحمل أي موقف بل يقررحقيقة ثابتة لاشك فيها وهي أن حقيقة الوحي والنبوّة غير حقيقة الشعر والشاعرية، وليس في نفي الشعر عن الرسول (ص) أوأنه لاينبغي له، أي طعن على الشعر ولاغض من قيمته، لأنه كما قال ابن رشيق:«لوأن كون النبي (ص) غير شاعر غضّ من الشعر، لكانت أمّيته غضّاً من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفى على أحد» (القيرواني، ٢٠٠١: ١٩).

ح- «والشّعراءَ يتّبعهم الغاوون ألم تَرَ أنّهمْ في كل وادٍ يهيمونْ وأنّهم يقولونَ ما لا يفعلونْ إلاّ الّذين آمنوا وعَملوا الصالحات وذكرُوا الله كثيرا وانتصروا من بعدِ ما ظلموا وسيعلمُ الّذين ظَلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون» (سورة الشعراء/٢٢٤-٢٢٧).

ففي هذه الآيات لم يحارب القرآن الكريم الشعر لذاته ولم يحارب الشعراء لأنهم قالوا الشعر، وإنما حارب المنهج الذي سار عليه الشعر والشعراء، منهج الأهواء والإنفعالات التي لاضابط لها، وحارب الشعراء الذين لايلتزمون القواعد الخلقية التي رسمها الإسلام، الشعراء الذين جعلوا من أنفسهم دعاة باطل، وأبواق ضلال، ومعاول هدم وفساد في الأرض، يمزّقون أعراض الناس بالهجاء الوقح الكذوب والبهتان المبين، ويأتون الزوريشوّهون به الحقائق ويعلون من شأن الباطل، وينكسون رايات الحق فيسلبون الفضائل من ذويها ويلبسون المرذولين ثياب الفاضلين (آدم بيلو، ١٩٨٥: ٢٨).

وقد فسّر الزمخشري الآية قائلاً: «لايتبعهم على باطلهم، وكذبهم، وفضول قولهم، وماهم عليه من الهجاء، وتمزيق الأعراض، والقدح في الأنساب، والنسيب بالحرم، والغزل، والابتهار، ومدح من لايستحق المدح، ولايستحسن ذلك منهم ولايطرب على قولهم إلاّ الغاوون والسفهاء والشطار» (الزمخشري، ج٣: ٣٤٣).

وقد نبّه الرسول الكريم (ص) أصحابه الشعراء إلى هذا الإستثناء حينما جاؤوا إليه يبكون خوفاً من أن يشملهم القول. روي أنه: لما نزلت« والشعراءُ يتّبعهم الغاوون»، جاء حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله (ص) وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي (ص):

« إلاّالذينَ آمنوا وعملوا الصّالحاتِ»، قال: أنتم، « وذكروا الله كثيراً» ، قال: أنتم، «وانتصروا من بعدِ ما ظلموا»، قال: أنتم (ابن كثير، ٢٠٠٣، ج٣: ٣٥٩).

ولاريب في أنّ الإسلام قد أراد أن ينتشل هذا الفن الرفيع مما غرق فيه، وأن ينهض به إلى المستوى الذي يليق به، وأن يوجّه الشعراء الوجهة الصالحة وأن يأخذ بأيديهم لأداء رسالتهم في الحياة. فهم إذا أفعموا النفوس حرارة الإيمان وملؤوا القلوب بمثل الإسلام وصرفوا الناس بجمال فنهم ونقائه عن الأدب الرخيص، نالوا رضاالله وفازوا بثوابه (رأفت الباشا، ١٩٨٨: ٢٠).

٢-٢- موقف الرسول الكريم (ص) من الشعر

فقد روي عن رسول الله (ص) أحاديث مختلفة و متناقضة أحياناً حول الشعر و الشعراء. فروي عن ابن عباس(رض) أنّه قال:« جاء أعرابي إلى النبي (ص) فجعل يتكلم بكلام فقال رسول الله (ص): إنّ من البيان سحراً وإنّ من الشعر حكما» (أبوداود، ١٩٨٨، ج٢: ٧٢١).

فجعل رسول الله (ص) بعض الشعر من الحكمة التي خصّ الله تعالى بها أنبياءه ووصف بها أصفياءه، وهذا القول من

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

رسول الله (ص) يدل على القيمة الفنّية الهامة للشعر الحسن ودوره في بناء المجتمع.

وروي عن النبي (ص) أنه قال: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيئ ماخلا الله باطل. وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» (العسقلاني، ۱۹۹٦، ج۱۲: ۱۷۱).

وفي هذا الحديث ربط النبي (ص) الشعر بالصدق ورأى في شعر أمية مدخلاً للتدين بحيث كاد أن يدخله في زمرة المسلمين.

وقال رسول الله (ص): « إنّ الله يؤيد حساناً بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله (ص)» (الترمذي: ۱۲۷).

وهذا تطبيق عملي من رسول الله (ص) لموقفه الإيجابي من الشعر حيث يدخله دخولاً مباشراً في مجال الدعوة ويحرّض الشعراء المسلمين على الأخذ به والاستفادة منه في الدفاع عن حمى الإسلام وعن المقدسات الإسلامية وعن حرمات المسلمين.

وقد كان رسول الله (ص) يقف من الشعراء المسلمين موقف الموجّه المرغّب في الأخذ بالكلمة الطيبة والمحافظة على المنهج والسلوك الإسلامي، وكان يفعل ذلك حينما يلاحظ على الشعراء المسلمين شيئاً من الخروج عن السنن الإسلامية، أو رأى بعض الرواسب من الأفكار الجاهلية الوثنية، الأفكار التي كانت تثير الضغائن والأحقاد كالتفاخر بالأ نساب والأحساب والجاه والمال وغير ذلك (زيني، ۱۹۸۲: ۱۰۷).

ومما يبين موقف النبيّ التوجيهي للشعر والشعراء، ما فعله ببعض شعر كعب بن مالك (رض). فقد روى ابن اسحاق في السيرة النبوية « أن كعب بن مالك قال قصيدة طويلة يجيب هبيرة بن أبي وهب مطلعها:

ألا هَل أتى غسّان ودونهم
منَ الأرضِ خرق سيره مُتنعنع

قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال: مجالدنا عن جذمنا كل فخمة. فقال رسول الله (ص): أيصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا. فقال كعب: نعم. فقال رسول الله (ص): فهو أحسن. فقال كعب: مجالدنا عن ديننا»(ابن هشام، ۲۰۰۰، ج۳: ۸۰-۸۲).

ولذلك لم يثبت ابن هشام في السيرة النبوية من قصيدة كعب لفظة « جذمنا » التي تعني « الأصل والجنس والنوع»، بل نشر القصيدة بتعديل رسول الله (ص).

كان هذا موقف النبي (ص) من الشعر والشعراء تأييداً وتوجيهاً وتشويقاً ولكن وسط هذا الحشد من الأقوال والأخبار المؤيدة للشعر والمشجّعة للشعراء يبرز حديث آخر يناقض في ظاهره ما قدمناه من أحاديث واستند إليه بعض النقاد في إثبات التنافر بين الإسلام والشعر وكراهية النبي (ص) للشعراء. روي أنّ رسول الله (ص) قال: «لأن يمتلئَ جوفُ أحدِكم قيحاً حتى يريه خيرٌ له من أن يمتلئَ شعراً » (العسقلاني، ۱۹۹٦، ج۱۲: ۱۸٤).

فقد حاول العلماء أن يفسروا هذا الحديث بوجه لا يعمّ الشعر كله بوصفه فناً في ذاته حتى ينسجم مع ما أثر عن رسول الله (ص) من أحاديث أخرى أشرنا إليها سابقاً فيها إعلاء لشأن الشعر. فقد روي عن أمّ المؤمنين عائشة أنها رفضت هذه الرواية بهذه الصورة وقالت عندما سمعتها: «لم يحفظ أبوهريرة الحديث، إنما قال رسول الله (ص): «لأن يمتلئ جوفُ أحدِكم قيحاً ودماً خيرٌ له من أن يمتلئَ شعراً هجيتُ به» (نفس المصدر، ج۱۲: ۱۸۵).

وهذا الاستدراك يوضّح جليا موقف الرسول الله (ص) من الشعر. فقد نهى عن لون معين منه وعن موضوعات خاصة، منها العصبيات، والمنافرات، والهجاء المقذع الذي

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

يؤذي النفوس ويبعث الضغائن بين المسلمين، والشعر الماجن الذي لايتفق والفضائل الأخلاقية ويعين على الرذائل.فكل هذه الألوان من الشعر تخالف المبادئ التي قرّرها الإسلام.

وقال ابن رشيق في تفسير هذا الحديث: « فإنما هو فيمن غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكرالله وتلاوة القرآن» (القيرواني، ٢٠٠١، ج١: ٣٣).

فالمذموم هنا هو امتلاء النفس والمشاعر والأحاسيس بالشعر حتى يصير الشعر هو الشغل الشاغل للفرد بحيث يصرفه عن ذكرالله وعن الواجبات الأخرى الأكثر أهمية.

ومما تقدم نجد أن موقف الرسول الله (ص) من الشعر والشعراء كان موقف المؤيد والموجّه والرافض، فقد كان يؤيد الشعر الإسلاميّ الهادف الملتزم بالقيم الإسلامية، وكان يقوّم ويوجّه الشعراء الإسلاميين الذين تطرّقوا في شعرهم إلى ما له علاقة بمثل الجاهليين وأخلاقياتهم، إلى الوجهة الإسلامية الصحيحة في نظم الشعر ويحثّهم على الإلتزام بقيم الإسلام وأخلاقياته، بينما كان يرفض الشعر غير الهادف، شعرالعصبيات والمنافرات، وشعر الهجاء المقذع والشعر الماجن الذي لايتفق مع القيم الإسلامية.

٣- قضيّة ضعف الشعر في صدر الإسلام

قد شاع عند بعض النقاد والدارسين أنّ الفترة التي عقبت ظهور الإسلام، كانت فترة هدوء أدبي، ركدت فيها حركة الشعر وتخلّفت عما كان عليه في العصر الجاهلي. وهذه القضية لها تاريخ طويل في الأدب العربي، حيث نجد عبارات من النقاد القدماء توهم بهذه الظاهرة كما نجد عند النقاد المحدثين من يتبنّى هذه الفكرة. ونناقش أولا آراء القدماء في هذه القضية ثم نتطرّق إلى بعض ما قاله المحدثون وندرس ما استندوا إليه من دلائل.

٣-١- دراسة آراء النقاد القدماء حول ظاهرة ضعف الشعر في صدر الإسلام

أطلق بعض النقاد في القرنين الثاني و الثالث الهجريين أحكاماً و آراء يستنبط من ظاهرها ضعف الشعر بعد ظهور الإسلام و وجود التنافر بين الإسلام و الشعر، فنقوم في هذا القسم من المقالة بدراسة و تحليل آراء هؤلاء النقاد.

٣-١-١- الأصمعي

لعل أول ما يلفت النظر في هذا الباب هو ما قاله الأصمعي حينما علّق على شعر حسان بن ثابت مقارنا شعره في الجاهلية والإسلام حيث وصف شعره الإسلامي بالليونة والضعف بسبب دخوله في باب الخيروقال: «طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير، لان. ألا ترى أنّ حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام. فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي (ص) وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم، لان شعره. وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير، لان » (المرزباني، ١٣٤٣: ٦٢).

فقد طرح الأصمعي هنا مسألة خطيرة، حيث قرّر أن شعر حسان قد ضعف بعد إسلامه لتركه ما كان يخوض فيه في الجاهلية من شعر الحماسة والتشبيب والخمر والفتوّة والهجاء، أوالأغراض التي يضمها معنى «الشر» واهتمامه بعد إسلامه بشعر التقوى والمعاني الأخلاقية ورثاء المسلمين أو الأغراض التي يضمّها معنى «الخير» (هدارة، ١٩٩٢:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

١٨٨). وقد استغلّ هذه المسألة بعض الحداثيين لإثبات التنافر بين الفن والخير، والتعارض بين الشعر والدين والأخلاق، فقال أدونيس معلّقاً على قول الأصمعي: «والشاعر الفحل — إذن — في نظر الأصمعي هو الذي لا يصدر في شعره عن الدين والأخلاق، وتبعا لذلك نستطيع القول إنّ الأصمعي لا يحبّذ الشعر التبشيري، أو الشعر الإيديولوجي » (أدونيس، ١٩٨٦، ج٢: ٤١).

وليس هذا صحيحاً، لأن قوة الشعر وضعفه وشدته وليونته لا ترجع إلى وجهته من خير أو شر، وإنما ترجع إلى طبيعة الشاعر وموهبته وصدق عاطفته ووضوح رؤيته في موضوعه شراً كان أو خيراً. وكما تنفعل النفوس بعوامل الشر، تنفعل بعوامل الخير. وقد يصل انفعالها بأسباب الخير أقصى درجاته فيرتفع شعرها فيه إلى أسمى ذرواته (يوسف شهاب، ١٩٨٥: ١١٢).

ويؤيد هذا ما وصل إليه الشعر الفارسي على أيدي فحول شعرائه الأخلاقيين الملتزمين بكل معاني الخير والفضيلة مثل نظامي گنجوي وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي ومولانا جلال الدين الرومي وغيرهم.

وهذا الذي قاله الأصمعي واستنتجه أدونيس، يحطّ من قيمة الإبداع الفني ويفسح المجال أمام نقيض الخير وهو الشر ويوهم بأنّ من شروط فحولية الشاعر هو البعد عن قول الخير والإكثار من قول الشر، وهذا يتعارض مع الواقع ومع ما قام به الأصمعي نفسه من رواية كثير من الشعر الداعي للخير الذي حمله بعض شعراء الجاهلية مثل زهير بن أبي سلمى، وعدهم من فحول الشعراء في مقولته التي قد أشرنا إليها حول شعر حسان، وحتى إن أصمعياته ليست حاملة للشر فقط بل فيها خير كثير.

أما شوقي ضيف فيرفض القول بهبوط المستوى الفني لشعره الإسلامي و ليونته و ينسب ما يلاحظ عليه من ضعف إلى اختلاط شعره بأشعار الأنصار و كثرة الوضع عليه، فيقول في ذلك: «و نظن ظناً أن شعره اختلط بأشعار الأنصار... والحق أن شعر حسان الإسلامي كثر الوضع فيه، و هذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة و من هلهلة، لا لأن شعره لان و ضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي»(ضيف: ٨٠-٨١). والجدير بالذكر أن الأصمعي نفسه قد أكّد على وجود الوضع و الانتحال في شعر حسان و نسب الليونة في شعره إلى هذا الوضع و الانتحال. فقد جاء في كتاب الإستيعاب : «و قال الأصمعي: حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء، فقال له أبو حاتم: تأتي له أشعار ليّنة، فقال الأصمعي: تنسب إلى أشياء لا تصح عنه» (ابن عبد البر، ١٩٩٥، ج١: ٤٠٣).

والحق أن ما ذهب إليه الأصمعي في تعليل ليونة شعر حسان وضعفه غير صحيح ولعله يقصد من الليونة أن الشاعر تخلّى عن بعض ما في الشعر الجاهلي من غرابة اللفظ ووعورة الأسلوب الذي اشتهر به الأصمعي، وأنه إذا كان هناك ضعف أو ليونة فإن ذلك لا يرجع إلى دخول شعره في باب الخير وإنما يرجع إلى «أن انتقال الشاعر بين مرحلتين وطريقين يمثّل تغيراً نوعياً في فنه وأمامه صعاب كثيرة تحتاج إلى تذليل » (الشطي، ١٩٨٤: ١٧٢).

أو كما قال محمد قطب يرجع إلى أنه « قد كانت العقيدة الجديدة في الواقع تنشئ النفوس إنشاء جديداً، كانت تغسل النفوس من أدران الجاهلية ومن موروثاتها القديمة كلها ومن مفاهيمها المنحرفة ومن تصوراتها الخاطئة، وتملأ الفراغ الحادث أولاً بتصورات جديدة ومفاهيم جديدة ومشاعر جديدة وسلوك وعمل جديدين، ومن ثم لم يكن الرصيد القديم صالحاً للإيجاد الفني، فقد كان غير موجود في النفوس التي استجابت للدعوة الجديدة، فنفضت عن نفسها كل تراث قديم وانسلخت من كل ما يربطها

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

بماضيها الجاهلي، من مشاعر و أعمال ووشائج قربى، وصارت تحس نحوه بنفرة وتقزّز، ولم يكن الرصيد الجديد قد تجمّع بعد في الصورة التي تصلح للأداء الفني الذي يعبّر – كما قلنا – عن شحنة مذخورة تريد الإنطلاق، لا عن الشحنة في دور التكوّن، قبل أن تمتلئ بها النفس ثم تفيض بالتعبير»(قطب، ١٩٨٧: ٦-٧).

٣-١-٢- محمد بن سلام الجمحي

ونقل محمد بن سلام الجمحي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه» (الجمحي، ٢٠٠١: ٣٤). ثم علّق على قوله وقال: «فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد، وغزوا فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنّت بالأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقلّ ذلك وذهب عنهم منه أكثره »(نفس المصدر: ٣٤).

ولعل ابن سلام يقول ذلك ليدل على أنّ شعراً عربياً كثيراً ضاع من يد الزمن، أ ما قوله بأن العرب لهت عن الشعر وشغلت عنه بالجهاد فينقضه ما تحمله كتب الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة ومن أسماء ناظميه (ضيف: ٤٤). ولكن مع ذلك فقد تردّدت هذه المقولة فيما بعد على ألسنة النقاد واستنتجوا منها ركود الحركة الشعرية وضعفها في عصر صدر الإسلام، فأكد ابن خلدون في مقدمته على ما ذهب إليه ابن سلام وقال: «ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة، ولم يتزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي (ص) وأثاب عليه، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه» (ابن خلدون: ٥٨١).

فإن كان يريد ابن خلدون توقّفهم عن الشعر مدة نزول الوحي عصر النبي (ص)، فإن ذلك لايصدق على الشعراء المشركين، لأنهم لم يشتغلوا بأمر الدين والوحي والنبوّة، ومعروف أن جمهور القبائل العربية إنما دخل في الإسلام بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، فإن انصرافهم إنما كان لمدة سنتين أي إلى أن انتقل النبي (ص) إلى الرفيق الأعلى، ولكن ابن خلدون ينقض ما قاله في أول كلامه بما قال في آخره، حيث قرّر أن الوحي لم يحرم الشعروسمعه النبي (ص) وأثاب عليه (ضيف: ٤٣). وهو نفسه قد قرّر في موضع آخر من مقدمته أن كلام الإسلاميين من العرب في منظومهم ومنثورهم أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين وعدّ شعر حسان والحطيئة الإسلامي أعلى طبقة من شعر فحول شعراء الجاهلية من مثل النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد (ابن خلدون: ٥٧٩-٥٨٠). ثم يعلّل هذه الظاهرة بقوله: «أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام، سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث، الذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها» (نفس المصدر: ٥٨٠).

فالسبب في تفوّق الأدب الإسلامي على الأدب الجاهلي يعود إلى المرجعية التي صنعت الذوق العربي الجديد، وأنشأت الأسلوب الراقي والفكر العميق، ولم تكن هذه

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

المرجعية إلاّ القرآن والحديث الذين بلغا مبلغاً عظيماً من الجمال أعجز أهل الفن منذ ذلك الزمان إلى اليوم (رحماني، ٢٠٠٤، ج١: ٨٥).

ولكن لا يفوتنا أن نشير إلى هذه اللفتة الذكية من ابن خلدون حين فصل بين القول القائل أن الإسلام حرّم الشعر والقول القائل أن الشعر ضعف بذاته، وهذا يدل على أن ابن خلدون لا يرى أن الإسلام هو الذي أضعف الشعر ولكن الشعرقد ضعف لأن الناس تشاغلوا بالدعوة الكبرى (الشطي، ١٩٨٤: ١٤٦).

٣-١-٣- القاضي الجرجاني

وقال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في الرد على من انتقص أبا الطيب المتنبي وغضّ من شعره لأبيات وجدها تدلّ على ضعف العقيدة وفساد الديانة: « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر وكان سوء الإعتقاد سبباً لتأخّر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدّت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد عليه الأمّة بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعري وأضرابهما ممن تناول رسول الله (ص) وعاب من أصحابه، بكماً خرساً وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر» (الجرجاني: ٦٢).

وقد فهم بعض النقاد من كلام الجرجاني هذا وخاصة من قوله« والدين بمعزل عن الشعر»، التعارض بين الدين والشعر بمعنى أن الدين شيء والشعر شيء آخر ولا علاقة بينهما، كما ادعى بعضهم أن هذا الكلام ينفي أي التزام إسلامي في الأدب (هدارة، ١٩٩٢: ١٨٤).

ولكن إذا تأمّلنا قول القاضي والظروف التي قاله فيها بدقة، نرى أنه يؤكد أن سوء الإعتقاد أو الكفر والخروج على الدين والأخلاق، لا ينفي فنية الأدب ولا يحطّ من مترلة الشاعر الفنية، لأن القاضي كان يتعجّب ممن ينتقص من شاعرية المتنبي لأنّهم وجدوا في شعره أبياتاً تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة، مع أنّ هؤلاء أنفسهم يقرّون بالشاعرية لأبي نواس وعنده ما هو أشنع وأفظع وأصرح في سوء الاعتقاد والخروج على الدين، فكيف يكون أبو نواس عندهم شاعراً ولا يكون أبو الطيب المتنبي شاعراً مجيداً (محمد علي، ١٩٩١: ٩٠).

وفي الحقيقة ليس فيما قاله الجرجاني وغيره من النقاد القدماء الذين أشرنا إليهم سابقاً ما يدل على فصل الدين عن الأدب ووجود التنافر بينهما، لأنهم إنما يتحدّثون عن قضية فنية يردّون بها على أولئك الذين ينفون الشاعرية عن الشاعر بسبب انحراف شعره ويؤكدون أن انحراف الشاعر الخلقي والديني لا ينفي عنه صفة الشاعرية (العشماوي، ٢٠٠٢: ١١٦) ، كما أن إيمانه وتعهده الخلقي والديني لا يزيد من شاعريته شيئاً.

٣-٢- دراسة آراء النقاد المحدثين حول ظاهرة ضعف الشعرفي صدر الإسلام

ذهب بعض النقاد المحدثين إلى الفكرة القائلة بوجود التنافر بين الإسلام و الأدب و ضعف الشعر في صدر الإسلام وذكروا دلائل مختلفة لهذه الظاهرة، فندرس هنا آراء بعض من هؤلاء النقاد على ضوء ما بيّناه سابقاً من موقف الإسلام من الشعر.

٣-٢-١- كارل بروكلمان

أكّد بروكلمان على كراهية النبي (ص) للشعر و الشعراء، و ذهب إلى أن اعتماده على الشعراء الإسلاميين كان لاحتياجه إلى شاعر يجيب على شعراء القبائل و قال: «حقاً

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0] [Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

كان رسول الله شديد الكراهية للشعر و الشعراء و لكنه كان محتاجاً إلى شاعر يجيب على شعراء وفود القبائل التي كانت تفد كثيراً على المدينة معلنة دخول قبائلها في الإسلام»(بروكلمان، ج١: ١٥٢).

وهذا الذي قاله بروكلمان يتنافى مع ما قلناه من موقف النبي (ص) من الشعر و الشعراء، لأنه لو كان النبي (ص) شديد الكراهية للشعر و الشعراء، لكان إصغاؤه إلى الشعراء و تشجيعه لهم و دعوته إياهم لنصرة الإسلام غير مفهوم، و لكان مسلكه حيال حسان بن ثابت و كعب بن زهير و عبدالله بن رواحة و غيرهم ممن دافعوا عنه بألسنتهم مناقضاً لموقفه من الشعر و الشعراء.

و يصف صاحب كتاب الغدير شعراء الصحابة بما ينفي مزاعم بروكلمان حيث يصفهم بأسود ضارية تفترس أعراض الشرك، و صقور جارحة تصطاد الأفئدة و المسامع، و فرسان هيجاء معهم حسام الشعر و نبل القريض، يجادلون دون مبادئ الإسلام و يجاهدون بألسنتهم في سبيل الله. ثم يذكر من بين الصحابة اسم عشرين شخصاً من الشعراء و ثلاث عشرة من الشاعرات(الأميني، ١٣٦٦ش، ج٢: ١٧-١٩).

٣-٢-٢- جرجي زيدان

قال جرجي زيدان: «أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والأمراء وأهل الحرب، وأكثر أشعارهم في الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع، ومرجع ذلك كله إلى العصبية. كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها. فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية، لم تبق حاجة إلى الشعر أو الشعراء، ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الإسلام وبالأسفار. وقد أدهشتهم أساليب القرآن، وبهرتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية إلى الخطابة لحاجتهم إليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد» (زيدان، ١٩٨٢، ج١: ٢٩٥-٢٩٦).

فقد ادّعى جرجي زيدان أن تحوّل الشعر عن روحه ومشربه ومضامينه الجاهلية من عصبية وفخر بما بين القبائل ومن تنازع وهجاء مقذع ومدح باطل إلى مضامين جديدة إسلامية، واشتغال أهل المواهب والقرائح بالجهاد وانبهارهم أمام أساليب القرآن والسنة النبوية كل ذلك أدى إلى ضعف الشعر في صدر السلام ونزوله عن أفقه الواسع وإصابته بالضيق والإنقباض. كما ادعى أنه لم تبق حاجة إلى الشعر والشعراء بذهاب روح العصبية وانصرفت قرائحهم الشعرية إلى الخطابة لحاجتهم إليها في استنهاض الهمم للجهاد.

أما قوله بأن تحول الشعر عن مضامينه الجاهلية من عصبية وفخر أدى إلى ضعف الشعر فغير صحيح، لأن الشعر هو التعبير عما يختلج في نفس الشاعر وكما أن المضامين الجاهلية تختلج في نفس الشاعر، يمكن أن تمتلئ نفسه بالمضامين الإسلامية الواسعة أيضاً.

وقضية انشغال المسلمين بالجهاد غير صحيح أيضاً، لأن الجهاد في سبيل الله والفتوحات الإسلامية من الروافد التي فجرت قريحة الشعراء وأمدّت الشعر الإسلامي بالمعاني والأفكار والأغراض الجديدة.

وأما القول بانبهار الشعراء أمام أسلوب القرآن وتوقّفهم عن قول الشعر فلا تؤيده الأدلة والواقع « لأن القرآن الكريم كتاب عقيدة وليس وسيلة لسحر العقول بحيث تمنع الشعراء من أن يقولوا الشعر، بل إن هذا القرآن خليق بأن يفتح أبواباً للشعراء ينفذون من خلالها إلى آفاق رحبة فسيحة الأرجاء» (الشطي، ١٩٨٤: ١٤٨). والعطاء الشعري للشعراء المسلمين الملتزمين بالمضامين القرآنية وأساليبها يؤيد هذا الموضوع.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

ونرى في آخر فقرة من كلام جرجي زيدان تناقضاً واضحاً، حيث يدعي أن المسلمين لم يكن لهم حاجة إلى الشعر والشعراء بعد ذهاب روح العصبية الجاهلية ولكن كانوا محتاجين إلى الخطابة والخطباء لاستنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد، وواضح أن تأثير الشعر والشعراء في هذا المجال أكثر وأشد فيكون احتياجهم إلى الشعر والشعراء أكثر من احتياجهم إلى الخطابة والخطباء.

٣-٢-٣- شكري فيصل

أسرف الدكتور شكري فيصل في التأكيد على فكرة ضعف الشعر وقال: «إن شعر صدر الإسلام هو النهاية الضعيفة الذابلة والمنحرفة للشعر الجاهلي وهو يمثّل عقابيل المعركة بين الحياة الإسلامية وبين الحياة الجاهلية، فأما الشعراء الذين سكتوا فقد وجدوا في القرآن الكريم أو في غيره تعويضاً عن حياتهم الفنية الأولى وأما الشعراء الذين ظلوا يقولون الشعر فقد كانوا يحاولون الصحوة من أثر الدهشة التي جابههم بها إعجاز القرآن كما كانوا يحاولون التكيف مع هذه الحياة الجديدة والانسياق في مفاهيمها» (فيصل، ١٩٥٩: ١٩٠).

فالدكتور شكري فيصل في حكمه على شعر صدر الإسلام يقارن الشعر الإسلامي بالشعر الجاهلي ويقتصر على شعراء المسلمين ويتناسى شعراء المشركين في هذه المرحلة، مع أنه لابد أن يأخذ بعين الإعتبار الأمور التالية في تقويم شعر صدر الإسلام:

أ- لا مجال للمقارنة بين الشعر الجاهلي والشعر في صدر الإسلام من ناحية الكم والكيف، لأن الشعر الجاهلي قيل على مدى مائة وخمسين عاماً على الأقل وله تجربة طويلة بينما لاتزيد مدة صدر الإسلام بتجربته الجديدة عن أربعين سنة.

ب- لا ينبغي الإقتصار على دراسة شعراء المسلمين بل يجب تجاوزهم إلى دراسة شعراء المشركين أيضاً في هذه المرحلة.

ت- حفلت الفتوحات الإسلامية بشعر حماسي رائع لم يهتم بجمعه مؤرخوا الأدب مع أنه يمثّل جانباً مهماً لاينبغي إغفاله عند تاريخ شعر صدر الإسلام ورصد اتجاهاته ومحاولة مقارنته بالشعر الجاهلي.

إنّ هناك مجموعة ضخمة من الشعراء لم تهتم بهم كتب الأدب ولم ترو أشعارهم، ولكن نجد الكثير من شعرهم في كتب طبقات الصحابة. وتسليط الضوء على هؤلاء وعلى شعرهم، سيكون له فائدة كبيرة في تقويم شعر ذلك العصر(هدارة، ١٩٩٥: ٧٣).

٣-٢-٤- نجيب محمد البهبيتي

وأيد نجيب محمد البهبيتي نظرية ضعف الشعر في صدر الإسلام ولخص دلائلها قائلاً: «ضعف الشعر في صدر الإسلام نظرية صحيحة، والعرب قوم ذوولسن وذوق قولي ممتاز فلم يلبثوا أن أخذهم القرآن بجماله...، فشغلوا بالقرآن وسكت الشعراء ليستمعوا إلى كلمة الله ... ثم إن تشبيه مشركي قريش النبي بالشاعر، ورفع القرآن نفسه عن هذا المعنى، جعل الناس ينظرون إلى الشعر على أنه تقليد جاهلي، فأصابه ما أصاب جميع التقاليد الجاهلية التي حاربها الإسلام، وكأنما كان الناس ينظرون إليه نظرهم إلى أثر وثني لعصر ذهب بكل أثقاله وبذكرياته الدامية الرهيبة، و ساعد على إضعاف الشعر أيضاً أن أعداء الإسلام كانوا يحاربونه بالشعرفلما عم الإسلام كانت كراهة هذا الشعر قوية في نفوسهم فتناسوه وامتنعوا عن رواية ما كان منه من هذا القبيل. وللنبي في ذلك أحاديث مشهورة لاداعي لترديدها. كما ساعد على إضعافه أيضاً أنه كان قد أخذ في العهد

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

السابق للإسلام مباشرة يتّجه إلى نوع من التفكير جارٍ حول العقائد والدين، والشعر إنما يذهب هذا المذهب في طور شيخوخته فأرخصه ذلك وحطّه عن مستواه القديم من ناحية و أوقف موقف المخالفة في الإسلام من ناحية أخرى» (البهبيتي: ١١٣-١١٤).

فذكر البهبيتي لإثبات قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام إضافة على ما قاله جرجي زيدان وشكري فيصل الأدلّة التالية:

أ- أن المشركين وصفوا النبي (ص) بالشاعر وربطوا بين النبوّة والشعر مما جعل القرآن الكريم يترّه نفسه عن أن يكون شعراً ويترّه النبي (ص) عن أن يكون شاعراً واعتبر الشعر تقليداً جاهلياً انصرف عنه الناس كما انصرفوا عن بقية التقاليد الجاهلية.

ب- حورب الإسلام من جانب أعدائه بالشعر فأصبح الشعر منفوراً عند المسلمين.

ت- اتجاه الشعر إلى التفكير العقائدي قبيل ظهور الإسلام حطّه عن مستواه القديم وجعله في موقف المعادي للإسلام.

أما بالنسبة للأمر الأول فليس في تنزيه القرآن الكريم نفسه أن يكون شعرا أو أن يكون الرسول شاعراً، طعن على الشعر ولا غضّ من قيمته كما أن إخراج الرسول من دائرة القارئين الكاتبين لايغضّ من أمر القراءة والكتابة شيئاً، بل هو إقرار لأمر ثابت لاشك فيه، لأن القرآن الكريم صورة بيانية فريدة تبعد كل البعد أن تكون شعرا أو سجعاً كسجع الكهّان، وكان المشركون من العرب يريدون التهوين من شأن معجزة الرسول (ص) فيصفون القرآن بالشعر و النبي (ص) بالشاعر فجاءت الآيات في الرد على ذلك (هدارة، ١٩٩٥: ٧٤).

وأما محاربة الكفار للإسلام بالشعر فلم ينفر المسلمين من الشعر من حيث هو شعر بل نفّرهم من نوع معين من الشعر كان يؤذي الله ورسوله وهذا ما حمل المسلمين أ ن يحاربوا الكفار بنفس السلاح فقال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت: «أهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، أهجهم ومعك جبريل، روح القدس» (القيرواني، ٢٠٠١، ج١: ٣٣).

وقد أثنى رسول الله (ص) على شعراء الإسلام وقدّر دورهم في محاربة الكفار فقال: « هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل »(نفس المصدر، ج١: ٣٣).

وأما ما ذهب إليه الأستاذ البهبيتي من أن سبب نزول الشعر عن مستواه هو انصرافه إلى العقائد فلا نستطيع أن نؤيده، لأنه لم ينصرف إلى هذا الاتجاه إلا أمية بن أبي الصلت وأبيات قليلة لبعض الشعراء، ولا نسلم أن موضوع الشعر يضعفه، لأن موضوعات الشعر كلما تشعّبت أعطت الشاعر مجالاً أوسع كي يعبّر عن خلجات نفسه (الشطي، ١٩٨٤: ١٤٩).

كانت هذه آراء بعض النقاد المحدثين حول قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام و وجود التنافر بين الإسلام و الشعر، و هناك من المستشرقين و النقاد المحدثين من رفضوا القول بركود حركة الأدب و ضعف الشعر في صدر الإسلام و أكّدوا على أن حركة الأدب و نهضة الشعر قد استمرت بعد الإسلام.

فالمستشرق الإيطالي كارلو نالينو يقول رافضاً قول ابن سلام و ابن خلدون حول انشغال العرب عن الشعر و روايته و سكوتهم عن الخوض في النظم و النثر في صدر الإسلام: «هذان القولان لا يوافقان حقيقة الأمر البتة...فإذا طالعتم كتب التاريخ المطولة، مثل سيرة الرسول لابن هشام، و كتاب المغازي للواقدي، و طبقات ابن سعد

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

و تاريخ الطبري، وجدتم كثرة ما يردّدونه من أشعار صدر الإسلام. ثم إذا تصفحتم كتب الآداب القديمة، مثل الأغاني وغيره، ألفيتم أن الآداب العربية لم تزل في ذلك العصر زاهية، و أن الشعراء لم ينصرفوا عن أنواع قريظهم» (مغنية، ١٩٩٥: ٩٢-٩٣ نقلا عن كتاب «تاريخ الآداب العربية» لكارلو نالينو).

و يعتبر شوقي ضيف القول بركود حركة الأدب و ضعف الشعر في صدر الإسلام ظلماً في حق الإسلام و يعتقد أن الإسلام قد أذكى جذوة الشعر و أشعلها فيقول: «ومن الظلم للإسلام أن يقال إنه كفّ العرب عن الشعر و وقف نشاطه، فقد كان ينشد على كل لسان، و ساعدت الأحداث على ازدهاره لا على خموله... و لعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إن الإسلام أذكى جذوته و أشعلها إشعالاً» (ضيف: ٤٦).

ومن الرافضين لهذه القضية عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ حيث تقول: «و يبدو لي أن ضمور الشعر دعوى غير مفهومة... و ما فينا من يجهل أن عصر المبعث كان حافلاً بالشعر فياضاً به» (بنت الشاطيء: ٧٦-٧٧).

الخاتمة

اعتمد الإسلام في نشر دعوته على الكلمة الطيبة البليغة واستفاد من الشعر والأدب كوسيلة من وسائل الدعوة والتعريف بالإسلام، وما جاء في القرآن الكريم من آيات قرآنية تنفي كون القرآن شعراً وكون النبي (ص) شاعراً إنما يصوّر موقف المشركين من القرآن وتأثيره في النفوس، ويؤكد على أ ن القرآن وحي من الله تعالى، وليس فيه ما يمسّ فن الشعر من حيث هو فن ولا ما يغضّ من قيمته الفنية، كما أنه ليس في أمّية النبي (ص) ونفي القراءة والكتابة عنه غضّ للقراءة والكتابة. ولا تمثّل هذه الآيات موقفاً سلبياً للإسلام إزاء الشعر والشعراء كما فهمها البعض، بل تقرّر حقيقة ثابتة وهي أن حقيقة الوحي والنبوّة غير حقيقة الشعر والشاعرية.

وقد وقف النبي (ص) من الشعر والشعراء موقف المؤيد والموجّه والرفض، فقد كان يؤيد الشعر الهادف الملتزم بالقيم الإسلامية، ويوجّه الشعراء الذين يتطرّقون في شعرهم إلى بعض المثل الجاهلية، بينما كان يرفض الشعر غير الهادف الذي يتنافى مع القيم الإسلامية.

وقد ذهب بعض النقاد إلى القول بفصل الدين عن الأدب وضعف الشعر في صدر الإسلام واستندوا في ذلك إلى بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وما روي عن بعض النقاد القدماء حول الشعر والشعراء. وقد قلنا أن القرآن لم يحارب الشعر لذاته و لم يحارب الشعراء لأنهم قالوا الشعر وإنما حارب المنهج الذي سار عليه بعض الشعراء، و لم ينه رسول الله (ص) إلا عن نوع معين من الشعر، ولانجد فيما روي عن النقاد القدماء ما يدل على فصل الدين عن الأدب ووجود التنافر بينهما، لأنهم إنما يتحدّثون عن قضية فنية بحتة ويؤكدون على أن انحراف الشاعر الخلقي والديني لا ينفي عنه صفة الشاعرية كما أن إيمانه و تعهده الخلقي والديني لايزيد من شاعريته شيئاً.

المصادر والمراجع:

[١] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد بمصر.

[٣] ابن رشيق القيرواني، العمدة، بتحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[٤] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الطبعة الثالثة، المصدر السابق، ١٤٢٤ه — ٢٠٠٣م.
[٥] ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ه — ٢٠٠٠م.
[٦] أبو داود، سنن أبي داود، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجنان، ١٤٠٩ه — ١٩٨٨م.
[٧] أحمد رحماني، النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، الرياض، مركزالملک فيصل للبحوث والدراسات، ١٤٢٥ه — ٢٠٠٤م.
[٨] أحمد محمد علي، الأدب الإسلامي ضرورة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الصحوة، ١٤١١ه — ١٩٩١م.
[٩] أدونيس، الثابت والمتحوّل، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.
[١٠] أسامة يوسف شهاب، نحو أدب إسلامي معاصر، عمان، دار البشير، ١٩٨٥م.
[١١] الترمذي، سنن الترمذي، بتحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الفكر.
[١٢] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٢ه — ١٩٨٢م.
[١٣] حبيب يوسف مغنية، الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار و مكتبة الهلال، ١٩٩٥م.
[١٤] الزمخشري، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي.
[١٥] سامي مكي العاني، دراسات في الأدب الإسلامي، بيروت، المكتب الاسلامي، ١٩٧٥م.
[١٦] سعدالدين محمد الجيزاوي، أصداء الدين في الشعر المصري الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر.
[١٧] سليمان الشطي، الإسلام والإبداع الشعري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، ١٩٨٤/١/١م.
[١٨] شكري فيصل، تطوّر الغزل بين الجاهلية والإسلام، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٥٩م.
[١٩] شلتاغ عبود، ملامح عامة لنظرية الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دمشق، دار المعرفة، ١٤١٢ه — ١٩٩٢م.
[٢٠] شوقي ضيف، العصر الاسلامي، الطبعة الثالثة عشرة، القاهرة، دار المعارف.
[٢١] صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، جدة، دار المنارة، ١٤٠٥ه — ١٩٨٥م.
[٢٢] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، قيم جديدة للأدب العربي القديم و المعاصر، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف.
[٢٣] عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير في الكتاب و السنة و الأدب، ج٢، الطبعة الثانية، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٦ش.
[٢٤] عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي، في الأدب والنقد، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، ١٤٠٥ه — ١٩٨٨م.
[٢٥] عبد الرحمن صالح العشماوي، علاقة الأدب بشخصية الأمّة، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣ه — ٢٠٠٢م.
[٢٦] علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، بتصحيح أحمد عارف الزين، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

[٢٧] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١، تعريب عبدالحليم النجار، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار المعارف.

[٢٨] محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م.

[٢٩] محمد بن عمران المرزباني، الموشح، القاهرة، جمعية نشر الكتب العربية، ١٣٤٣ه.

[٣٠] محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، الطبعة الشرعية الخامسة، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٨ه – ١٩٨٧م.

[٣١] محمد مصطفى هدارة، الالتزام في الأدب الاسلامي (ضمن بحوث ندوة الأدب الاسلامي ج١)، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، ١٩٩٢م.

[٣٢] محمد مصطفى هدارة، الشعر في صدر الاسلام والعصر الأموي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٥م.

[٣٣] محمود حسن زيني، دراسات في أدب الدعوة الاسلامية، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٩٨٢م.

[٣٤] نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتي آخر القرن الثالث، بيروت ، دار الفكر.

[٣٥] يوسف بن عبدالله بن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٩٥م.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]

بررسی مسألۀ ضعف شعر در صدر اسلام

حسن سرباز[1]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۷/۹/٤ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۸/٦/۲۲

در این مقاله پس از بیان پیوند میان دین وادبیات، دیدگاه اسلام در باره ی ادبیات ومسأله ی ضعف شعر در صدر اسلام مورد بررسی قرار گرفته است، آنگاه با بررسی آیات قرآنی، واحادیث نبوی وآرای ناقدان قدیم وجدید نتیجه می‌گیریم که آیاتی از قرآن کریم که در آنها لفظ « شاعر» بکار رفته است، در مقام تحدی وپاسخگویی به مشرکانی نازل شده اند که قرآن را شعر وپیامبر را شاعر می نامیدند، وآیاتی که در آن ها شعر از پیامبر نفی و دور از شأن ومنزلت وی قلمداد شده است، دلیلی بر مذمت خود شعر وشاعری به حساب نمی آیند، همان طوری که امی بودن پیامبر ونفی خواندن ونوشتن از او دلیلی بر مذمت خواندن ونوشتن محسوب نمی‌شود.

همچنین ذم شاعران در قرآن، ربطی به مذمت شعر وارزش هنری آن ندارد بلکه مربوط به رویکرد ومنهج نادرستی است که برخی از شاعران در پیش گرفته‌اند.

آنچه از ناقدان قدیم در مورد ضعف شعر در صدر اسلام نقل شده است، بر جدایی دین از ادبیات وتعارض بین آن دو دلالت نمی‌کند، بلکه آنچه از گفته های آنان فهمیده می شود، این است که انحراف دینی واخلاقی شاعر، چیزی از قدرت شاعری او نمی‌کاهد، همان طوری که تعهد دینی واخلاقی بر توان شاعری او نمی‌افزاید.

واژگان کلیدی: اسلام، ادبیات، شعر صدر اسلام.

۱. استادیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه کردستان

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-30]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1431.17.3.1.0]